متى صار الصراخ دبلوماسية والعجز استراتيجية؟ في المأزق المصري وأوهام المقاومة

10 يوليو 2025

أدب وسخرية

24 دقيقة قراءة

متى صار الصراخ دبلوماسية والعجز استراتيجية؟ في المأزق المصري وأوهام المقاومة



ثمـة فــــ الصــراخ المصــرى مــا يذكرنــا بتلــك المشاهد المسرحية الكلاسيكية؛ حيث الممثل المأزوم يلجأ إلى رفع صوته حين تخونه الحجج. والحــال أن القــاهرة، منــذ أن بــدأت الســعودية تحولها مـن "المنـح المبـاشرة بلا شـروط إلــــى الاستثمار المشروط" - كما عبر عنه المسؤولون السعوديون في أكثر من محفل- دخلت في حالــة هســتيرية غيــر مســبوقة. كــأن المبـــدأ الاقتصادى البديهى صار إعلان حرب على "أم الدنيا" وكرامتها الفرعونية.

لكن لماذا غضبت مصر؟ الجواب أبسط مما يبدو: لأن السعودية تغيرت. توقفت عن الدفع لمن لا يحترم ما تدفع، وتوقفت عن الصمت أمام من يشتمها ثم يطلب مساعدتها. كسرت "العهد غير المكتوب" الذي ساد عقوداً: "نحن ندفع وأنتم تُمثلون"، "نحن نمول وأنتم تزعقون في الجامعة العربية".

بيـد أن الغضـب المصـري يُخفـي مأزقـاً وجوديـاً العمق. فالنظام الذي بنى شرعيته على أوهام "الزعامة الإقليمية" و"دور مصر التاريخي"، وجد نفسـه فجـأة عاريـاً مـن كـل أدوات هـذا الـدور. لا مال للمنـاورة، لا نفـوذ للمساومـة، لا حتـى قـوة ناعمــة للإقنـاع. وهنـا بالضبـط تكمـن وظيفـة "الشركة المتحدة" وقائدها حسن رشاد: تحويل العجــز إلــى بطولــة، والفشــل إلــى مقاومــة، والإفلاس إلى كرامة وطنية.

ذاك أن زمن الشيكات البيضاء انتهى، كما أعلن

وزيـر الماليـة السـعودي محمـد الجـدعان فـي دافـوس 2023: "اعتـدنا إعطـاء منـح مبـاشرة وودائـع بلا شـروط، ونحـن نغيـر ذلـك". كلمـات نقلتها رويتـرز وفهمها العـالم، إلا القـاهرة التـي رأت فيها "خيانة". والنخبة المصرية التي تعودت القبض بلا حساب رأت في أي شرط إذلالاً. حين يُصبح النقد الاقتصادي "خيانة قومية"

يلوح أن أكثر ما أغضب القاهرة لم يكن وقف المساعدات، بل كشف الوقف للحقيقة المُرة: أن السعودية وحدها قدمت 32.49 مليار دولار منذ 2013، وإذا أضفنا دعم الإمارات والكويت فالرقم يتجـاوز 100 مليـار دولار! مئـة مليـار ذهبـت فــي مشــاريع "الهيبــة" لا مشــاريع اللهيبــة" لا مشــاريع التنميــة. عاصــمة

إداريـة بـ58 مليـار دولار فـــى الصــحراء - مدينــة أشباح صُممت لــ6.5 مليون نسمة لكن أسعار شققها (50 ألـف دولار) تتجـاوز قـدرة المصـرس العادى الـذى لا يتجاوز دخلـه السـنوى 3000 دولار. قناة سويس "جديدة" بـ8.2 مليار وعدت بزيادة الإيرادات 259% وخلق مليون وظيفة، فــاِذا بهــا تخســر 23% مــن إيراداتهــا بســبب الحوثيين. مرافق حكومية في العاصمة الجديدة تتجــاوز تكلفــة نقلهـا 100 مليــون دولار، بينمــا 58.5% من الشعب يعيش بأقل من 5.5 دولار يومياً - وهذا بحسب البنك الدولي الذي لا يُتهم بمعـاداة مصـر- أمـا الجهـاز المركــزى للتعبئــة والإحصاء المصرص، ذلك الساحر الـذَى يُحـول الفقر إلى رخاء بجرة قلم، فيصر على أن النسبة "لا تتجاوز 30%"! كأن الفارق بين 30% و58.5% مجـرد خطأ حسـابي بسـيط، وليـس 30 مليـون إنسـان يختفـون مـن الإحصـاءات الرسـمية كمـا اختفى غيرهم في ظروف أخرى. لكن لعل في هــذا التلاعــب بالأرقــام مــا يُفســر "المعجــزة الاقتصادية" المصرية: إذا لم تستطع حل الفقر، فاحذفه من الإحصاءات!

وإذ تُواجه القاهرة بهذه الأرقام الصادمة، تلجأ إلى سلاحها الأخير: تحويل النقد الاقتصادي إلى "خيانـة قوميـة". هنا يـبرز دور سامـح أبـو عرايس وسامح عسكر وعسلية وابراهيم عيسى والهــواري وقنــديل وأمثــالهم مــن منتجــات "الشركـة المتحــدة" - كمـا فصــلتُ فــي مقــالي "الشركة المتحدة: من هندسة الوعي إلى تدمير صــورة مصــر"- كــل مــن يســأل "أيــن ذهبــت المليـــارات؟" يُصــبح عميلاً. كــل مــن يُطــالب بالشفافية يُتهم بالعمالة. وهكذا يُحول الفشل الاقتصادي إلى معركة وطنية، والفساد إلى مقاومة، والإفلاس إلى صمود أسطوري!

مئة مليار دولار: قصة أكبر هدر مالي في التاريخ العربي المعاصر

لنتوقف قليلاً عند هذا الرقم المذهل: 100 مليار دولار خليجية في 12 عاماً! هذا يعني أكثر من 8 مليارات دولار سنوياً، أو 22 مليون دولار يومياً، أو مليون دولار كل ساعة على مدار 12 سنة! ماذا حققت مصر بهذا الكنز؟ هل أصبحت سنغافورة

الشرق الأوسط؟ هل قضت على الأمية؟ هل طـورت صـناعات تنافسـية؟ هــل بنــت جامعــات عالمية؟

الجواب في الأرقام: الدين الخارجي قفز من 43 مليار دولار في 2013 إلى 168 مليار في 2024. الجنيه انهار من 7 جنيهات للدولار إلى 50 جنيهاً. الفقــر ارتفـع ليشمــل 58.5% مــن الســكان. أمــا "الإنجازات" فعاصمة في الصحراء لا يسكنها إلا الأشبــاح، وقنــاة ســويس خســرت ربـع إيراداتهــا، وقصور للنخبة بينما الشعب يبحث عن الخبز.

والأنكى أن النظام المصري - بدلاً من مراجعة سـياساته - اختــار البحــث عــن كبــش فــداء: السعودية التي "تخلت" عنه. وراح إعلامه يصرخ: "أنتم تمولون أمريكا وتبخلون علينا!" متجاهلاً أن السعودية استثمرت في طائرات F35 وليس أرصـفة فارغـة، فـي رقـائق NVIDIA وتقنيـات الذكاء الاصطناعي وليس فنادق مهجورة، في صــناديق عالميــة تــدر أرباحــاً وليــس فــي بيروقراطيات متضخمة تبتلع الأموال. الفارق بين استثمار سيادي ذكي ومساعدات ودعم لنظام تختفي فيه الأموال في ثقب أسود مجهول.

سوريا: الجنرالات يرتعدون من ظل رجل بلا نجوم لعـل موقف القاهرة مـن أحمـد الشـرع يكشف المأزق الأعمق للعسكرتاريا العربية. فالرجل الذي أسـقط نظـام الأسـد - دون دبابـات مصـرية أو "خبراء استراتيجيين" - يُمثل كابوسهم الأسوأ: التغييـر مـن خـارج الثكنـات. سُـنـى معتــدل، أعــــن براءته من القاعدة، قطع صلته بالإخوان، تحالف مع السعودية، وفتح الحوار مع واشنطن. كل ما يفتقده ويخشاه جنرالات العرب.

وثمة في رعب القاهرة من الشرع ما يفضح طبيعة المأزق الوجودي. فالنظام الذي يُروج لنفسه كــ"حامى الاستقرار" و"قاهر الإرهاب"، يرتعد من نجاح مدنى في ما فشل فيه العسكر. والأخطر أن هـذا النجـاح جـاء بـدعم سـعودى واضح، ما يُثبت أن الرياض لم تعد تراهن على الأنظمة الفاشلة، بل على القوى القادرة على التغييــر الحقيقـــى. هنــا يُصــبح التحريــض ضــد السعودية ضرورة وجودية: إما تشويه النموذج الجديد، أو الاعتراف بالفشل التاريخس.

المفارقة السورية الكبرى: من يدعم الطائفية

ومن يدعم الاعتدال؟

والحال أن المفارقة الأخلاقية هنا صارخة. مصر التــي تــدعي "قيــادة العــالم السُــني" دعمــت لسنوات نظاماً طائفياً عسكريًا علوياً قتل مئات الآلاف مــن السُــنة. بينمــا الســعودية - القائــدة الفعليــة للعــالم السُــني - دعمــت الثــورة ضــد الطائفية ورحبت بقائد سُني معتدل. من يدعي الاعتــدال دعـم التطــرف الطــائفي، ومــن يُتهـم بالتشدد دعم الانتصار السُنى!

راهناً، تحاول القاهرة تصوير دعم الرياض للشرع كـــ"مؤامرة إخوانيـــة"، متجاهلــة أن الســعودية نفسها حاربت الإخوان. لكن المشكلة الحقيقية ليست في ماضي الشرع، بل في حاضره: مدني ناجـــح يُهــــدد شرعيــــة العســـكر الفـــاشلين. والسـعودية رأت فــي ســقوط حكــم الأقليــة الطائفية المدعومة من طهران فرصة تاريخية لإعادة سوريا إلى محيطها الطبيعى.

والمفارقة المُرة أن مايو 2025 شهد قمة غير مسبوقة في الرياض جمعت محمد بن سلمان وترامب وأحمد الشرع، وشارك فيها أردوغان عبر الفيـديو. وأيـن السيسـي؟ خـارج الكـاميرا، خـارج الغرفة، خارج التقدير. لم يُدعَ، لم يُخطر، لم يُؤخذ رأيه. ليس صدفة بل نتيجة طبيعية: من لا يُبادر لا يُسـتشار، ومـن لا يملـك رؤيـة لا يُصـنع معـه تحالف.

السودان: دروس في الجُبن الانتقائي

ثمة في الموقف المصري من أزمة السودان ما

يفضح طبيعة النظام وحساباته. القاهرة تدعم البرهان علناً، وأبوظبي تدعم حميدتي بالسلاح والمال والدرونز والمرتزقة - دعم عسكري مباشر موثق- لكن من تهاجم القاهرة إعلامياً؟ الرياض! التــي لــم تفعــل شيئــاً ســوس الــدعوة للحــوار والوساطة في جدة.

هـذا الصـمت المطبـق عـن دور الإمـارات ليـس دبلوماسية، بل جُبن محسوب. القاهرة تعرف أن أبوظــبي تملــك أوراق ضغــط حاســمة، مــن الاستثمارات إلى الودائع المصرفية التي يعتمد عليهـا الاقتصــاد المصــري للبقــاء. أمـا الريــاض، فيُراهن النظام المصري على صبرها التاريخي وحلمها الذي قد يُفسر ضعفاً. خطأ استراتيجي قاتل. والمثير للسخرية أن هذا الجُبن الانتقائي يُقدم كــ"حكمة سياسـية"! حســن رشــاد ومــاكينته الإعلاميــة يُصــورون الصــمت عــن الإمــارات كـ"براغماتية"، والهجوم على السعودية كـ"دفاع عـن المصالـح القوميــة". لكـن الحقيقـة أبســط: النظـام يهـاجم مـن يأمـن جـانبه، ويصـمت عمـن يخشى عقابه. إنها سياسة البلطجي الذي يتنمر على الكريم ويتذلل للقوي. ولكن غاب عنه أن يفكر بمآلات الحليم إذا غضب!

غزة والحوثيون: النفاق في أبهى تجلياته بيد أن أكثر ما يكشف ازدواجية النظام المصري موقفه من غزة والحوثيين معاً. في غزة، أغلقت القاهرة معبر رفح وتركت الجرحى ينزفون حتى الموت على حدودها، ولم تسحب سفيرها من تل أبيب، ولم توقف السياح الإسرائيليين في شرم الشيخ، ولم تُجرم التنسيق الأمني. بينما خطباؤهـا يملأون الفضائيـات صـراخاً عـن "منـع التهجير" و"حماية الشعب الفلسطيني".

في المقابل، السعودية - الدولة الوحيدة التي أعلنت تجميد التطبيع رسمياً وربطت أي اتفاق مستقبلي بإقامـة دولـة فلسـطينية عاصـمتها القدس الشرقية - قدمت موقفاً لم تلتزم به لا الإمـارات ولا البحريــن ولا حتــى مصــر "حاميــة القضية". أرسلت آلاف الأطنان من المساعدات، عقدت ثلاث قمم طارئة، طالبت بوقف العدوان علناً وسراً.

وفــوق هــذا كلــه، العمــال المصــريون فـــي الســعودية يُحولــون أكثــر مــن 8.4 مليــار دولار سنوياً لعائلاتهم - ثاني أكبر مصدر دخل لمصر بعد قناة السويس المنكوبة- أي أن السعودية تدعم الشعب المصري مباشرة بأكثر من 23 مليون دولار يومياً من جيوب العمالة المصرية، التـي نحبها عاطفيًا، ولكـن يمكـن اسـتبدالها بخطة قلم، ردًا على نظام يشتم الرياض صباح مسـاء! وفـوق ذلـك يُزايــد الإعلام المصـري المـوجه: "نحـن الحمـاة وأنتـم الطـاعنون". كأن الحماية تكون بإغلاق المعابر أمام المحتضرين!

أما الحوثيـون، فحكـايتهم أكثـر فضائحيـة. منـذ بدأوا ضرب السفن في البحر الأحمر، انخفضت الإيرادات السنوية لقناة السويس بنسبة تتراوح بين 23% و40% خلال عام 2024، بحسب بيانات

هيئة القناة وشركات الشحـن الدوليـة التـي هجرت الممر المائي خوفاً من الصواريخ الحوثية. ومع ذلك، صـمت مطبق مـن القـاهرة. لا بيـان إدانة، لا موقف واضح، لا مشاركة في التحالف البحـري. لمـاذا؟ لأن الحـوثي يرفع شعـار "نصـرة غزة"، والنظام يخاف من شارعه أكثر مما يخاف من انهيار اقتصاده. نتيجة طبيعية حين تخالف الأقــوال الأفعــال فــي البدايــة فتضطــر إلـــى الصمت النهائي.

وهنا يتجلى دور "الشركة المتحدة" في أبشع صوره. فبينما الاقتصاد المصري ينزف مليارات بسبب الحوثيين، تعمل ماكينة حسن رشاد على تحويل الأنظار إلى "الخطر السعودي". الحوثي الـذى يُـدمر قنـاة السـويس "مقـاوم شريـف"، والسعودية التي تُحول 8.4 مليار دولار سنوياً "عـدو يتـآمر"! إنهـا قمـة الانحطـاط: تبرئـة مـن يُدمرك وتجريم من يُطعمك. وكل هذا لإشغال الشعب عن السؤال الحقيقي: لماذا نصمت عمن يضربنا في مقتل؟

الشركة المتحدة وسامح أبو عرايس: حين يتحول الإعلام إلى ميليشيا

ذاك أن دعوة سامح أبو عرايس - نجم "الشركة المتحــدة" ووجههـا البـارز - المخــابرات المصــرية للتعــاون مـع "أمـراء سـعوديين لإحــداث انقلاب" ليســت زلــة لســان عــابرة. التغريــدة موثقــة فــي صفحته على تويتر، والصمت الرسمي المصري عنها أبلغ من أى تعليق. بيد أن ما قاله أبو عرايس يتجاوز كونه تحريضاً إعلامياً. إنه تجاوزٌ غير مسبوق لخطوط الاشتباك غيـر المُعلنـة، وكسـرٌ صـريح لقواعـد الأعـراف الدبلوماسية، يرقى - في ميزان الدول الجادة -إلى مستوى إعلان العداء من جهاز سيادى ضد قيادة دولة من المفترض أنها حليفة. في عالم الدول التى تحترم نفسها، تصريح كهذا كفيل بقطع العلاقات. لكن يبدو أن القاهرة تراهن على أن السعودية ستواصل ابتلاع الإهانات كما ابتلعت الشتائم.

والأخطر من التصريح ذاته هو السياق الذي جاء فيه. فأبو عرايس لا يتحدث من فراغ، بل من قلب منظومة "الشركة المتحدة" التي تحولت - كما شرحتُ فى مقالى السابق - من أداة دعاية إلى ماكينة حرب نفسية. حسن رشاد يُريد أن يُقدم نفسـه كـــ"البطل" الــذي يتحــدى الســعودية، و"المقــاوم" الــذي لا يخضــع حتــى للرئيــس المصري! إنها محاولة يائسة لبناء شرعية من العــدم، وخلــق بطولــة مــن الــوهم، وتحويــل التحريــض علــى دولــة شقيقــة إلــى "نضــال وطنى"!

لكـن لنتـذكر جيـداً: السـعودية التــي أطـاحت
بالإخوان في 2013، وقادت عاصفة الحزم في
2015، وواجهت إيران في أربع جبهات، وفككت
خلايا إرهابية لا تُحصى، ليست دولة هواة. ومن
يظـن أنـه يسـتطيع تكـرار سـيناريو 1952 فــي
الريــاض، عليــه أن يُراجــع دروس التــاريخ جيــداً،
ويتذكر أن الذى ثبت أساسات ملكه قادر على

العكس، متى شاء!

الكمايتـة: حيـن تهـرب مـن الحـاضر إلــــ وهــم الماضــــ

أما الكمايتة - تلك الظاهرة النفسية المَرَضية -فتعكس أزمة هوية مزمنة. حين تفشل في الحاضر، تهرب إلى ماض متخيل. "نحن الفراعنة وأنتم البحو"، يصرخون. وينسون أن الحضارة الحقيقيـة تُقـاس بمـؤشرات اليـوم لا أهرامـات الأمـس: جـودة التعليـم (السـعودية تتفـوق)، مستوس الصحة (السعودية تتقدم)، البنيـة التحتيــة (نيــوم مقابــل العشوائيــات)، الإنتــاج الثقافي، التقنية والابتكار (السعودية تستثمر المليارات بينما مصر تتسول القروض).

ولعـل الأدهـــ أن خطــاب "الكمايتـــة" - الــذـى

حللته بالتفصيل فى مقالى "الكمايتة: عندما يُصبح الماضى مقبرة للحاضر" - يُوظف اليوم كأداة لتبرير الفشل وإلهاء الشعب. فبينما يُحشد المصريون للدفاع عن "هويتهم الفرعونية" ضد "الغزاة العرب"، ينهار جنيههم، ويتضخم دينهم، ويهاجر شبابهم. إنها لعبة الإلهاء الكبرى التي يُتقنها النظام: اشغلهم بمعارك وهميـة عـن هويات ميتة، كم لا يسألوا عن حقوقهم الحية! أغلب الظن أن من يصرخ "نحن أصل الحضارة" يعترف ضمناً بأنه صار على هامشها. ففي زمن كانت فيه مصر تُنتج نجيب محفوظ وأم كلثوم، كانت الرياض تستمع. اليوم، MBC تُنتج وتبث وتكسر الأرقام، والسعوديون يكتبون ويُبدعون بلغتهم دون عُقد. التاريخ يتحارك، والحضارات تتبدل، ومن يعيش في الماضي يموت فيه. إيران: ورقة المناكفة الأخيرة والأكثر بؤساً

وإذ تفتح القاهرة أبوابها لـوزير خارجيـة إيـران - قبل أيام من تـدمير إسرائيل وأمريكا لمفاعلاتها النووية ومنشآتها العسكرية - فإنها تكشف عن إفلاس كامل في التفكير الاستراتيجي. ما الذي تأملـه مصــر مــن نظــام محاصــر دوليــاً، منهــار اقتصاديـاً، مهــزوم عســكرياً؟ اســتثمارات؟ (إيــران تتســول رفــع العقوبــات). دعــم مــالي؟ (إيــران عملتهـا فــي الحضيـض). موقـف دولــي؟ (إيــران منبوذة حتى من حلفائها).

الجواب واضح: لا شـــيء سـوى محاولـة يائســة لإزعــاج الريــاض. كــأن المناكفــة صــارت ســياسة خارجيـة، والمكايـدة صـارت اسـتراتيجية وطنيـة. نسوا أن من يلعب بالنار الإيرانية يحترق بها، وأن طهران لا تُعطى مجاناً حتى الابتسامات.

وفس هــذا السـياق بـالذات يتكشـف المـأزق الوجودى بأوضح صوره. فالنظام الذى فشل فَى بناء علاقات متوازنة مع محيطه العربي، وخسـر ثقـة حلفـائه التقليـديين، لا يجـد سـوس التحالف مع قوس الفوضى والتخريب. إيران التي تُــدمر أربـع عواصــم عربيــة، والحوثيــون الذيــن يُـدمرون قنـاة الســويس، هــؤلاء هــم "الحلفـاء الجـدد" لمصـر! ألـم يفكـروا مثلًا عاقبــة أن تــرد السعودية التحية بأحسن منها وتستقبل رئيس وزراء أثيوبيـا ؟ إنـه انتحـار اسـتراتيجـــ بامتيــاز، يُغلف بشعارات "المقاومة" و"التصدى للهيمنة". لكن الشعارات لا تُطعم خبزاً، ولا تبني اقتصاداً. ولا تحمى أمناً قومياً.

الذباب الإلكتروني المصري: من حفظ قصائد جرير والمتنبي إلى "يا ابن الوسخة"

لئن كان للمصريين تاريخ في فنون البلاغة - من بردة البوصيري إلى شعر شوقي، ومن نثر طه حسين إلى سخرية نجيب محفوظ؛ فإن لجانهم الإلكترونية اليوم يُمثل قاع الانحطاط اللغوي والأخلاقي. "يا أقرع يا بحوي يا بتاع الجمال" صارت ذروة الحجـة، و"يـا وهـابي يـا داعشـي" صارت قمة التحليل السياسي.

وهـــذا الانحطــاط ليــس عفويـــاً، بــل مُمنهــج ومدروس. كما بينتُ في "قنابل موقوتة تمشي علــــى قــدمين"، المخــابرات المصــرية بتوجيهــات

حسن رشاد حول اللجان الإلكترونية إلى جيوش من السبابين المأجورين. كل "كس أمك" تمر عبر موافقة مسؤول، وكل شتيمة لها ميزانية من ضرائب شعب لا يجد الخبز! والهدف واضح: تحویل کل نقاش عقلانی إلی معرکة شتائم، وكل حوار بناء إلى حرب طائفية. هكذا يُدمر النظام آخر ما تبقى من رأسمال مصر الحضارس. من دراسة قصائد الهجاء العربي الكلاسيكي -حيث كان جرير والفرزدق يتبارزان فى نجد بسيوف البلاغة - إلى تغريدات الشتائم البذيئة والصــور المفبركــة بــالفوتوشوب. أي ســقوط حضارس هذا يا رشاد ويا "الشركة المتحدة" ؟ لـديكم بمصـر شبـاب واعــى ومثقـف لمـاذا لـم تستعينوا بهم لكى يقدمون خطابًا مقنعًا بدلاً مـن خطـاب "السرسـجية" الحـالي؟ أم أنكـم لا تفهمون لغة الشاب المصري المثقف إذا أنضم إلى هذه اللجان وأعاد تشكيل خطابها؟ وكل هذا بميزانيات من ضرائب شعب لا يجد الخبز ولا الدواء. النظام الذي يعجز عن صياغة رؤية يلجأ للسباب، والنخبة التي تفتقد الحجج تستعيض عنها بالصراخ.

أسئلة لا يجرؤون على طرحها

راهنـاً، وسـط هـذا الضجيـج كلـه، ثمـة أسـئلة محورية لا يجرؤ النظام المصري على طرحها:

- لماذا لا نُصلح اقتصادنا بدلاً من لوم من توقف عن تمويل فشلنا؟
- لمـاذا ننتظـر مـن السـعودية أن تــدفع فـواتير

مشاريعنا الفاشلة إلى الأبد؟

- هل يُعقل أن نبني قصوراً في الصحراء بينما شعبنا يغرق في الفقر ثم نغضب ممن يسأل: أين ذهبت الأموال؟

- كيـف نُطـالب بــ"الكرامة" ونحـن نمـد أيـدينا للجميـع: السـعودية، الإمـارات، الكـويت، قطـر، الصين، صندوق النقد؟

- هــل مــن المنطقــي أن نُعــادي مــن ساعــدنا لعقود لمجرد أنه طلب منا خطة عمل واضحة؟ الأســئلة كثيــرة، لكــن الإجابـات تتطلــب شجاعــة لمواجهة الذات، وهــي بضاعة نادرة فــي قصور السلطة.

والسؤال الأهم الذي يتجنبه الجميع: ما الهدف مـن كـل هــذا التصـعيد؟ هــل يُعقــل أن يكــون الهدف مجرد إشغال الشعب المصري عن أزمته الخانقة؟ أم أن هناك من يُريد تحويل مصر إلى ورقة في لعبة إقليمية أكبر، كما حـدث في العراق وسوريا ولبنان واليمـن؟ النظام الـذي يُحـول بلـده إلـى ساحـة للصـراعات الإقليميـة، ويُحول شعبه إلى وقود لحروب الآخرين، هل يستحق البقاء؟

كلفة الصبر: هـل تـدفع السعودية ثمـن ضبط النفس؟

وإذ نصل إلى جوهر المسألة، يبرز السؤال الذي لا مفر من طرحه: هل يُعقل أن تستمر السعودية في دعم نظام يسمح لإعلامييه بالدعوة العلنية للانقلاب عليها؟ هـل يُطعم المـرء مـن يُخطـط لاغتياله؟ هـل يُمول من يتآمر على استقراره؟ أغلب الظن أن الصبر السعودى - ذلك الصبر الذَى يُفسره البعض نُبلاً والبعض الآخر حكمة -بدأ يُقرأ فـــ القــاهرة ضعفــاً وعــداوة. وهــذهـ قراءة خطيرة. فالصبر ليس مجانياً في عالم السياسة، وكلما طالت المهادنـة ازداد تطاول الطرف الآخر. حين تصمت على شتيمة تأتيك شتيمتان، وحين تتجاهل تحريضاً يأتيك انقلاب. والحال أن استمرار هذا الصبر لا يُهدد السعودية وحدها، بل يُهدد مفهوم السيادة ذاته في المنطقـة. فإذا كان بإمكان إعلامــــــ مأجــور أن يــدعو علنــاً لانقلاب فـــس دولــة مجــاورة دون عواقب، فما الذي يمنع غداً دعوات مماثلة في كل عاصمة عربية؟ السكوت عن التجاوز الأول يفتح الباب للتجاوز الثانى والثالث، حتى تصبح الفوضى هي القاعدة والاحترام هو الاستثناء. التاريخ يُعلمنا أن الصبر فضيلة، لكنه يُعلمنا أيضاً أن للصبر حدوداً. وحين يتحول الصبر إلى ضعف في عيـون المتآمريـن، يُصبح التحـرك ضـرورة لا تــرف. السـعودية التــي صـبرت علــى الإسـاءات المصرية لسنوات، وتجاهلت الحملات الإعلامية، وواصلت الدعم رغم كل شيء، وصلت اليوم إلى مفترق طرق.

البيان الأخير قبل إسدال الستار

وإذ نقـف علـى عتبـة مرحلـة جديـدة، لا بـد مـن وضـوح تـام: السـعودية اليـوم ليسـت سـعودية الأمس. نحن في زمن رؤية 2030، لا في زمن الشيكـات المفتوحـة. نحـن دولـة تســتثمر فــى المستقبل، لا خزينة مفتوحة للأنظمة الفاشلة. نحـن شريـك يحتـرم نفسـه ويطلـب الاحتـرام، لا ممول صامت يُشتم صباحاً ويُستجدى مساءً.

لقد حان الوقت لسياسة واضحة وحازمة. وإن لم يتوقف التحريض والإساءات، فلتكن البداية:

 محاكمـة المحرضيـن: كـل إعلامـي مصـري يُسيء للسعودية، يحاكم غيابيا بالسعودية وله فرصة الحضور وتوكيل محامي، وإذا تمت إدانته؛ فيكون من ضمن العقوبة أن يُدرج في قائمة سوداء تمنع دخوله دول الخليج كافة.

2. تجمید الاستثمارات وسحب الودائع أو عدمتجدیدها: ووقف کل استثمار سعودي جدیدفي مصر حتى یتغیر الخطاب الرسمي مع

ضمانات محددة وواضحة ومعاقبة المسيئين. 3. مراجعـة أمنيـة شاملـة: إعـادة تقييـم وجـود العمالـة المصـرية فـى السـعودية، رغـم حبنـا الفطرس للشعب المصرس، ولكن الأمن الوطنس خـط أحمر، وإيقـاف أس تجديـد للفيـز أو طلبـات استقدام جديدة من مصر، واستبدالهم بعمالة ماهرة ورخيصة من دول مثل: الفلبين والهند وسيرلانكا وإندونيسيا وباكستان وتايلاند ونيبال وغيرهم.. عمالة تذكرنا بتجربتنا مع سفراء الوفاء فى كوريا الجنوبية.

الخيارات الإقليمية: فتح قنوات حوار مع كل الأطــراف المعنيــة بــالشأن المصـــري، بمــا فيهــا إثيوبيا.

5. التوثيــق والمتابعــة: إنشــاء مرصــد رســمى

لتوثيق الإساءات الإعلامية وملاحقتها قانونياً. ليس انتقاماً ولا عدواناً، بل رسالة واضحة: زمن الابتزاز انتهى، وعصر الاحترام المتبادل يجب أن يبدأ. من كان يظن أن السعودية ستظل تدفع صامتـة بينمـا يُخطـط للانقلاب عليهـا، فليُراجـع حساباته سريعاً.

أما الشعب المصري العظيم، شعب طه حسين ونجيب محفوظ وأم كلثوم؛ فهو أكبر من نخبة فاشلـة تُقـامر بمسـتقبله فـي معـارك خاسـرة. يستحق قيادة تبحث عن حلول بدلاً من أكباش فداء، تبني جسور التعاون بدلاً من جدران العداء، تستثمر في شعبها بدلاً من القصور الفارغة.

السعودية مـدت يـدها بـالخير لعقـود، وسـتظل مستعدة لمدها لكل من يحترم نفسه ويحترم شراكة المستقبل. لكنها لن تقبل بعد اليوم أن تكون ضحية لابتزاز عاطفي أو مؤامرات انقلابية. نحن نسير لعالم 2030، والعالم تغير، ومن لم يستوعب التغيير سيجد نفسه خارج التاريخ.

فليقـرأ مـن يريـد أن يقـرأ، وليفهـم مـن يريـد أن يفهم. هذا ليس مقالاً عابراً، بل صفحة جديدة في تاريخ المنطقة. والبقاء لمن يحترم التغيير ويتكيف معه، لا لمن يشتمه صباحاً ويستجديه مساءً.

أليسـت هـذه هــي السـياسة حيــن تتحــرر مــن الأوهام والعواطف: واضحة في رسالتها، حازمة في موقفها، عادلة في مطالبها؟

والتاريخ، ذلك المعلم الـذى لا يرحـم، سـيحكم

على الجميع. على من بنى وأنتج واحترم، وعلى من هـدم وأفسـد وأسـاء. وحيـن تُكتـب فصـول هذه المرحلة، سيتساءل الأحفاد: كيف سمحت نخبة لنفسها بالمقامرة بمستقبل شعب عريق من أجل كبرياء زائف ومكاسب وهمية؟

والأهم من هذا كله: كيف سمح شعب عظيم لحفنـة مـن المتآمريـن أن يُحولـوه إلـــ وقــود لمعارك وهمية، وأن يُشغلوه بأعداء متخيلين، بينما العدو الحقيقي - الفقر والجهل والفساد -ينخر في عظامه يوماً بعد يوم؟

 الشعوب لا تُخدع إلى الأبد، وأن الأقنعة مهما أُتقنت صناعتها، تسقط فى النهاية.

والسؤال الأخير، الذي نتركه معلقاً في فضاء التاريخ: هل ستستيقظ مصر قبل فوات الأوان، أم ستواصل رحلتها نحو الهاوية وهي تلعن من حاول تحذيرها؟

الزمن وحده كفيل بالإجابة. لكن الزمن، كما نعلم جميعاً، لا ينتظر أحداً.